

مقدمة

فريضة تجديد الخطاب الديني

في الحديث النبوي الشريف: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»^(١).

وجه الدلالة: إخبار وحض على الاجتهاد بشروطه وضوابطه ومقتضياته وآلياته لمواجهة مستحدثات ومستجدات وطوارئ وعوارض ونوازل دون جمود أو تبديد فيما لا بد للدين من الوجود به.

ودواعي التجديد أهمها:

- تجديد وفهم الدين في أحوال وأوضاع في الجملة تعود إلى ما يعرض للدين من قصور في فهم النصوص ودلالاتها ومقاصدها وقد يكون هذا بالزيادة أو النقصان.
- إحياء نفائس وذخائر في التراث الإسلامي مثل (الفقه الافتراضي) و (فقه النوازل) و (الفقه المقاصدي) وهي مطمورة مجهورة لضعف الملكات وطغيان الحرفية للنصوص وإغفال وإهمال مقاصدها، وتطفل أدعياء علم من طائفيات مذهبية.
- تمييز الأصل عن الدخيل، والجيد عن الرديء.
- تنزيل الأحكام الشرعية على ما استجد من أنماط الحياة العملية للناس.

(١) أخرجه أبو داود وغيره وصححه الحاكم عن أبي هريرة.

• الإفادة من فهم التخصّصيين الفقهيين لتجديد الخطاب الدينى منذ بواكير المجتمع المسلم بدءاً من التراث الموروث إلى الواقع المعاش المعاصر فمن ذلك:

(أ) قال الإمام السيوطى - رحمه الله تعالى - : «إن المراد بتجديد الدين : تجديد هدايته وبيان حقيقته وأحقيقته ، ونفى ما يعرض لأهله من البدع أو الفتور فى إقامته ، وإعادة مصالح الخلق ، وسنن الاجتماع والعمران فى شريعته» - الجامع الصغير للسيوطى -

(ب) قال الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - : «لا يلزم أن يكون المبعوث على رأس المئة رجلاً واحداً ، وإنما يكون واحداً ، وقد يكون أكثر منه» ، فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع .

(ج) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - : موضحاً دلالة الحديث الشريف - سالف الذكر - "لا يلزم أن يكون فى رأس كل مئة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر فى الطائفة .

(د) الإمام محمد عبده - رحمه الله تعالى - : «إن التجديد يشمل حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نفية ، ونقل المعانى الصحيحة للنصوص ، وإحياء الفهم السليم لها ، والسعى للتقريب بين واقع المجتمع المسلم فى كل عصر ، وبين المجتمع النموذجى الأول الذى أنشأه الرسول - ﷺ - ، وإحياء مناهج ذلك المجتمع فى فهم النصوص والاجتهاد ، كما يشمل التجديد تصحيح الانحرافات النظرية والفكرية والعملية والسلوكية وتنقية المجتمع من شوائبها» .
(هـ) الشيخ أمين الخولى - رحمه الله تعالى - : «التجديد فى الدين فريضة» مجلة الرسالة ١٩٣٣م وتناول التجديد فى الدين وعلومه ذات الصلة .

(و) المودودي - رحمه الله تعالى - : «كتب» موجز تجديد الدين وإحيائه ١٩٤٨م.

(ز) الشيخ عبد المتعال الصعيدي - رحمه الله تعالى - : أصدر كتاباً غاية في الأهمية «المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر» عام ١٩٥٥م.

(ح) الفاضل / محمد إقبال - رحمه الله تعالى - : كتب بإفاضة «تجديد التفكير الديني في الإسلام وإصلاح لعلاقة المسلمين بالدين، والتفاعل مع أصوله والاهتداء بهديه، لتحقيق العمارة الحضارية، وتجديد حال المسلمين، ولا يعنى إطلاقاً تبديلاً في الدين أو الشرع ذاته» - نقلاً عن مجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد ٦٠٠.

تأسيساً على ما ذكر: يجب فقه «التجديد» ودواعيه ومقتضياته وآلياته ومجالاته ومقاصده، بورش علمية من خبراء أكاديميين سالف في العلوم الإسلامية والدعوة الإسلامية، وخبراء تربويين ذات التخصص سالف الذكر، بعمل «مؤسسي» يتناول تأصيل «الثوابت» فلا انقلاب عليها، فهي مسلمات شرعية لا تقل قوة عن مسلمات عقلية، هي هكذا بمنظور «المصلحة العامة وليست الخاصة» وهذا يقتضي الإمام بمبادئ أساسية في العمل المؤسسي :

- فهم آلية التعامل مع النصوص الشرعية من جهة ووردها القطعي والظني، ودلالاتها على الأحكام الشرعية.

- فقه التعامل مع التراث الموروث في فهم المصادر التشريعية.

- بحث علم «أصول الفقه» في ثوب جديد للإعانة في فهم الدلالات والوسائل والمقاصد.

- فقه مرتكزات علمية لدى كبار خبراء منها : التخريج الفقهي ، تحقيق المناط.

- الأخذ بقواعد ذات صلة منها «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان» ، «المشقة تجلب التيسير» ، «الضرر يزال» ، «حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله» .

- تحقيق علمي لمبادئ «البدعة» وأدلة «المصلحة المرسله والاستحسان والعرف والعادة» ، «وتروك الرسول محمد - ﷺ - ودلالة الترك على أحكام من عدمه» .

العمل المؤسسي لما سلف ذكره وما يناظره وما يشابهه بحاجة إلى «هيئة قومية للخطاب الديني» لها الاستقلالية ، يتم اختيار خبراء «الذين يبلغون رسالات الله ولا يخشون أحدًا إلا الله» ، «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» ، أصحاب رسالة وليسوا موظفين مهما علت ألقاب وظائفهم المهنية !